هنالكِ الحجاب



عبد الملك القاسم

دار القاسم

ح دار القاسم للنشر والتوزيع ، ١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القاسم، عبدالملك بن محمد

هنيئاً لك الحجاب. - الرياض.

٣٢ص ، ١٢×١٧سم

ردمك : ٦-٤٢٣-٣٣-٩٩٦٠

١ - الحجاب والسفور أ - العنوان

ديوي ٢١٩،١ ٢١/٤١٥٨

رقم الإيداع: ٢١/٤١٥٨

ردمك : ٦-٤٢٣-٣٣-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

العنوان : الرياض ، طريق الملك فهد جنوب شارع التليفزيون

للمراسلات : الرمز البريدي ١١٤٤٢ - ص . ب ٦٣٧٣

الرياض هاتف ٤٠٩٢٠٠٠ فاكس ٤٠٣٣١٥٠

فرع جدة هاتف ٦٠٢٠٠٠٠ فاكس ٦٣٣٣١٩١

❖ البريد الإلكتروني sales@dar-alqassem.com

❖ موقعنا على الإنترنيت www.dar-alqassem.com

دعوة للوقف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وأشرف المرسلين نبينا محمد ﷺ وصحبة أجمعين.

مما لا شك فيه أن نظام الوقف في الإسلام قد أدى دوراً بارزاً في إقامة مجتمع إسلامي حضاري يُحتذى به، تجلت فيه روح الأخوة الإسلامية التي تأسست على المبدأ النبوي المبارك: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشُدُّ بعضُه بعضاً**» رواه مسلم.

وقد ساهمت «**الأوقاف**» في أماكن كثيرة في العالم الإسلامي على تثبيت الدين في نفوس المسلمين، وحماية الدعوة الإسلامية، وضمان استمرار مسيرتها في البذل والعطاء.

وجاءت النصوص الشرعية لتؤكد على دور الوقف وأهميته في حياة الأمة منها: **قال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾** [آل عمران: ٩٢].

ومن النماذج التاريخية للوقف في حضارتنا الإسلامية:

ـ ما فعله الصحابي الجليل عثمان ـ رضي الله تعالى عنه ـ عندما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**من حفر بئر رومة فله الجنة**» فحفرها عثمان ـ رضي الله عنه ـ لينال جنة عرضها السماوات والأرض، رواه البخاري.

ـ ما فعله الصحابي الجليل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ؛ لما أصاب أرضاً بخيبر، إذ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن المائة سهم التي لي بخيبر لم أُصب مالاً قط أعجب إليّ منها، وقد أردت أن أتصدق بها**»، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «احبس

أصلها وسبِّل ثمرتها» أخرجه النسائي وصححه الألباني.

ـ ما أحوج الأمة اليوم إلى أمثال هـذه النماذج المباركة التي سارعت بالتطبيق العملي للتوجيهات النبوية التي كان لها أثرها في حياة الأمة الإسلامية.

ـ ومع حالة «التراجع الحضاري» التي عاشتـها الأمة الإسلامية حيناً من الدهر انحسر دور الوقف وكادت هذه (السنة) من سنن نبينا صلى الله عليه وسلم أن تتوارى من حيـاة المسلمين؛ وإذ بهذه الصحوة الإسلاميـة المباركة التي تعم أرجاء الدنيا تُعيد «للوقف الإسلامي» دوره ومكانته.

وقـد هيأ الله لإحـيـاء هذه السنة المبـاركة رجـالاً على رأس وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وذلك بمبادرة ودعم من أهل الخير من أبناء هذا البلد الطيب، وأثمرت هذه الجـهود المباركة عن تأسـيس: «المصارف الوقـفيـة» التي ساهمت بجـهـود طيبـة ـ ولا زالت ـ في دعم الأنشطة والمشروعات الدعوية المتنوعة بالإضافة إلى أوجه البر الأخرى.

ومن هذه الأنشطة التي دعمتها المصارف الوقفية «كتيبات قسم الدعوة والإرشـاد» لذلك يطيب لنا أن نتوجـه بخـالص شكرنا وتقديرنا للإخـوة القائمين على «**المصارف الوقفية ـ بإدارة الأوقاف**»، كما يطيب لنا أن نتوجه بالدعوة إلى أهل الخيـر والعطاء والبذل في سبيل الله سبـحانه وتعالى في هذا البلد الطيب المعطاء ـ أن يبادروا ـ إلى دعم مشروعات «**الوقف الخيري للبر والتـقوى**» وغيـره من المصارف الوقـفية الأخـرى التي يُشرف عليـها ويُديرها قسم المصارف الوقفية ـ بإدارة الأوقاف ـ بدولة قطر.

وفقكم الله وبارك على الخير خطاكم

قسم الدعوة والإرشاد

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين؛ وبعد:

فيسر إدارة الدعوة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، أن تقدم للقارئ الكريم هذا الكتيب ضمن سلسلة إصداراتها التربوية والتعليمية، راجية أن ينفع الله به قارئه، وأن يعم به الخير والفضيلة في المجتمع، اللهم آمين.

إدارة الدعوة

هنيئاً لك الحجاب

تنعم المؤمنة بنعمة الستر والعفاف يزينها الحياء إن قعدت، والحشمة إن سارت، وضعت فوق رأسها شعارًا تحلت به عبادة لله وتقرباً، وحافظت عليه طاعةً ورضاً.

أخذت الحجاب الشرعي كاملاً مثل ما آمنت بأن الصلوات خمس فأقامتها، والصيام المفروض شهر فأدته، والحج مرة في العمر فسارت إليه! طبقت شروط الحجاب الشرعي كاملة حتى لا تشذ وتقع في مخالفة واحدة!

هذه الموفقة أطاعت وامتثلت، وصانت نفسها، وحمت أعين المسلمين من الوقوع في الفتنة..

وجزاؤها ـ بإذن الله ـ جزاء موفور في الدنيا والآخرة، ومن أجمل أنواع الجزاء في الدنيا ما ذكره أحد الدعاة العاملين.. قال: ما رأيت امرأة مطبقة لتعاليم الشرع إلا دعوت لها دعوات حارة متتالية بأن يستر الله وجهها عن النار، وأن يبارك فيها وفي ذريتها، وأن يجعلها من أهل الجنة وأن يرحم والديها. وهكذا أُتبعها الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل أن يحفظها ويرعاها حتى تأخذني الغفلة!

وأخرى رأيتها في وسط متهتكات، أحزنني وضعهن وآلمني حالهن من التكشف والريبة، قال: فلما قمت من ليلي جعلت دعائي في القيام لتلك المرأة الملتزمة.. في وسط المتهتكات، وسابقتني الدمعة لما هي فيه من وسط سيىء، فبكيت وأنا ساجد أدعو لها.

قلت في نفسي: هنيئاً لها الدعوات المباركة التى هي من ثمار الطاعة والامتثال لله عز وجل! فكم من دعوة رفعت لك أيتها المتحجبة وتجاوزت الغمام استجيب لها وأنت نائمة لاتعلمين!

أما إحدى النساء في موسم الحج فقد تاهت في شدة الزحام وأخذت تجري هنا وهناك بشرّاب دون حذاء، فرمقها أحد الدعاة ومعه أبناؤه فرقَّ لحالها، وخلع نعله وناولها صغيره الذي أصر على أن تلبس الحذاء، ثم سار أمامها مسافات طويلة حتى أوصلها مأمنها! قال: ذلك بمحبة للمؤمنات فعلت! والله لما رأيت عباءتها وسترها رق قلبي ومشيت مسافات طويلة على الإسفلت الأسود في حر مكة محبة لمن التزمت بهذا الستر!

هذه ثلاث مبشرات مفرحات للمؤمنة.. لعل الله أن يبلغها المقيل!

وأهيب بالإخوة والأخوات الدعاء بظهر الغيب للأخوات اللاتي أطعن الله عز وجل وامتثلن أمره في الحجاب والستر وأبشرهم بحديث النبي ﷺ: «ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب، إلا قال الملك: ولك بمثل..»[رواه مسلم].

أختي المسلمة: هنيئاً لك هذا التوفيق من الله عز وجل والثبات على دينه، وهنيئاً لك الدعوات التي تنير دربك وتيسِّر أمرك. وما عند الله خير وأبقى.

أم عبد العزيز

أن تذهب إلى لبنان فإن كثيراً من مظاهر الفساد والانحلال سوف تكون صورة ماثلة أمامك مطابقة لما رسمه الإعلام وبعض الأفراد! ويؤكد ذلك؛ أن تجد لوحات إعلانية بمساحات كبيرة تحمل صوراً لنساء شبه عاريات إلا من قطعتين تبرز لك بين الحين والآخر في الشوارع الرئيسة والطرق السريعة! هذا ما نعرفه وهذا ما رأيته! لكن الدين منصور وفي أمة محمد ﷺ بقية من أهل الخير والصلاح! يا نساءنا دونكن أم عبد العزيز.. إنها امرأة في مقتبل العمر تحمل همم الشباب ونشاطهم وتتطلع إلى أن تستثمر فرصة الحياة بالعمل على خدمة الإسلام في أي مكان.

افتتحت بجهودها الذاتية مدرسة لتدريس فقراء المسلمين وتعليمهم أمور دينهم، وجمعت لهذه المدرسة المبالغ الكبيرة، وجَدَّتْ وتعبت في البحث عن مصادر تمويل لاستمرار ثمار هذه الشجرة المباركة، حتى وصل بها الأمر إلى السفر مع زوجها إلى كندا لجمع الأموال من الجالية المسلمة هناك.

أم عبد العزيز امرأة لبنانية وتتربع مدرستها هذه على أرض ومبنى كبير مكون من ثلاثة أدوار.

هذه هي المعلومات الأولى التي سمعتها عن هذه المرأة من الدعاة الذين يذهبون إلى هناك. وقدر الله عز وجل أن أزور منطقتها، ورتب موعد لمقابلتها ومناقشتها في أمر هذه المدرسة!

تخيل أيها القارئ أنك ستقابل امرأة لبنانية في مقتبل العمر! كيف

تكون وبأي هيئة ستدخل وتقابلك! لقد دار في ذهني الكثير ولكن عندما صعدنا إلى مدرستها ودخلت غـرفة الإدارة فإذا بزوجها رجل تظهر عليه سيما الخير! فلما أقبلتْ فإذا بها ليست حاسرة الرأس، أو كاشفة الوجه، أو عارية النحـر! لقد كانت محجـبة الحجاب الشـرعي الكامل، فلاترى منها وجهـاً ولا شعراً ولانحراً، بل قد جعلت ـ القـفازات السوداء ـ في يديها! نعم ذلك في لبنان ولها الفخر ابنة الإسلام أن تكون كذلك !

ورغم أن الشعور الذي انتابني، والفكر الذي أحاطني، انصرف إلى أمر حجـابها ومحافظتـها عليه، إلا أنّ الأمر لا يزال مـحزناً وأنت ترى كيف يُسقط الحجاب في بلد الحجاب!

من نساء الجنة

أصبح حجاب المسلمة قضية القضايا.. وفعَّل المرجفون في الأرض الأمر وطبَّلوا له وزمّروا ، فها نحن في كل يوم نرى حديثاً حوله، ونشاهد ضربات تهزه! حتى بدا ضعيفاً ملوناً ليس له من شروط الحجاب الشرعي إلا الاسم .. وما أثيرت قضية الحجاب وتسلط الأعداء عليه، إلا سرح بفكري وجال بخاطري حديث المرأة السوداء! وهي التي وقفت في وجه إسقاط الحجاب رغم ما تعانيه وما يعتريها! عن عطاء: قال: قال لي ابن عباس: ألا أُريك امرأة من أهل الجنة؟! هذه المرأة السوداء، أتت إلى رسول الله ﷺ، فقالت له: يا رسول الله، إني أُصرع، فادع الله لي. فقال: «إن شئتِ، صبرتِ ولك الجنة، وإن شئتِ، دعوتُ الله أن يعافيك» فقالت: أصبر. ثم قالت: يا رسول الله، إني أتكشف فادع الله لي أن لا أتكشف. فدعا لها». رضي الله عنها، صبرت على الصرع ونالت الجنة، وصبرت على الغيبوبة، لكنها لم تصبر على أن يرى الرجال جسدها حتى وهي في حالة الضعف والمرض، ونوبات الصرع تتغشاها. !

واليوم تتكشف نساء المسلمين بدون مرض أو صرع! بل معصية لله عز وجل، وطاعة للشيطان، واتباعاً للموضة والأزياء!

أختي المسلمة: الحجاب قبل أن يكون ستراً للوجه والبدن هو طاعة وامتثال لأمر الله عز وجل وأمر رسوله الكريم . فانظري أين أنت من هذه الطاعة ومن الامتثال!

واجعلي سترك وحشمتك قربةً إلى الله عز وجل وطاعة له.

وإذا وضعت العباءة.. وأسدلت الخمار..

تأملي وفكري في حال المرأة السوداء التي هي من نساء الجنة!

جعلكِ الله من نساء الجنة، وبنى لك فيها بيتاً لاصخب فيه ولانصب.

فريضة الله على كل مؤمنة

نحن في زمن طغت فيه الانهزامية والضعف، ولذا أصبح الاعتزاز بهذا الدين والانتماء إليه، ورفع رايته، من نوادر الأمور في حياة المسلمين. حتى إنك إذا سمعت قصة عن الاعتزاز والفخار علمت أن الركبان تتناقلها وأنها أصبحت أحاديث مجالس الأخيار. وكأنها قصة تروى من الصدر الأول لإشراقة الإسلام!

يا ترى.. أمة من الناس ثار غبارها في هذا الصيف وهي تلهث وتجري على تراب الغرب الكافر! تستجدي عطفهم، وتتلمس رضاهم، وتنفق الأموال في ديارهم.. تلك الخطى وتلك الشهور والأيام أين منه واقع الاعتزاز بهذا الدين؟

هل سمعتم أحدهم في (الهايد بارك) يرفع عقيرته بالأذان. أو أن آخراً يحدث عن التوحيد ونبذ الصليب! بل هل أطلَّت رؤوسكم إلى مسلمة مؤمنة تلتفُّ بالحجاب كما كان سائر نساء الصحابة!

إحداهن ممن ابتُليت بالسفر إلى بلاد الكفار، تحجبت الحجاب الشرعي المعروف فلا يرى منها يد، ولا وجه، ولا يظهر منها خصلة شعر.. حديثها يأتي همساً وربما تصاحبه الدمعة: كنا ثلاث مجموعات من النساء، المجموعة الأولى: مَنِ التزمن بحدود الله، وابتعدن عن معصيته، وعلمن أن الحجاب فريضة الله على كل مؤمنة فأطعن وامتثلن، وأنا إحداهن ولله الحمد. والمجموعة الثانية.. متذبذبات أخذتهن موجة التغريب، لكنها لم تسقط الحجاب كاملاً فلا تزال بقية

إيمان في قلوبهن تدافع الخبث.. فجعلن من الحجاب على الرأس ما يزين ويُجمِّل! أما المجموعة الثالثة: فهن والكافرات سواء بسواء في الملبس والمظهر والمساحيق، بل وارتفاع الأصوات وبذاءة اللسان ووقاحة العينين.. وقل ما تشاء!

وكان الموقف محرجاً، وإحدى الكافرات تسألني تستوضح الأمر رغبة في معرفة سر الاختلاف في المظاهر الثلاث، وما هو الفرق بين المجموعات، وتَنادى إلى سمعي قولها: ألستن مسلمات كلكن؟!

يا ترى ماذا كان جوابها! وماذا يكون جوابنا أمام ـ الله عز وجل ـ لهذا الانسلاخ من الدين والسير في إسقاط الحجاب بأيدينا طائعين مختارين! متى تفيق أَمَةُ الله، ومتى تستيقظ ابنة الإسلام! ومتى تعلم المسلمة أن الحجاب فريضةُ اللهِ على كل مؤمنة؟

فقد الأندلس

ذكر أحد الدعاة المعروفين ممن يجوبون الأرض شرقاً وغرباً.. أنه كان في رحلة إلى الفلبين تجاوزت حدود المدن وامتدت إلى القرى والأرياف. حتى وصل إلى بلدة ريفية نائية، يوجد فيها مدرسة إسلامية صغيرة، تئن من شدة الحاجة، وتنوء بحمل سقفها، الذي أهلكته السنون! فكان أن حَلُّوا ضيوفاً عليهم. فإذا الكرم العجيب، إذ بادر أهل القرية في فرح ومحبة لأهل هذه البلاد ودعاتها إلى جمع طعامهم لذلك الغذاء وتقديمه للضيوف. تلا ذلك حفل للمدرسة أُعدَّ على عجلة من الأمر، شارك في تقديم فقراته الطلبة والمدرسون.

قال الداعية: فخرجت طفلة صغيرة لا يتجاوز عمرها السابعة وألقت علينا قصيدة في رثاء الأندلس، وهي قصيدة حزينة تحكي سقوط الأندلس، وتشرح حال أهله، حتى وصلت إلى البيت المشهور.

لمثل هذا فيذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام وإيمان

فبكت بكاء حاراً أبكى الحضور!

قال الداعية: تعجبت من حفظ هذه الصغيرة لهذه القصيدة العصماء مع أنها أعجمية، ثم هي مع هذا تحن لبلاد الإسلام وترى أن الأندلس قطعة منا ومنها وتبكي لسقوطه، وإن مضت قرون طويلة على الحدث، إلا أن النسيان لم يطو شراع حزنه !

كم من العرب من يبكي إذا سمع القصيدة، أو إذا سافر هناك ولاحت له منابر ومحاريب المساجد! القلوب تختلف والبكاء يختلف!

هناك امرأة تبكي بسبب لون فستان أو حـذاء اشترته ولم يعجبها، وهناك شاب يبكي بسبب هزيمة ناديه المـفضل.. وهناك طفلة في أقصى الأرض تبكي سقوط الأندلس وتتحسر على ضياعه!

هل أنت ملتزم

هل أنت ملتزم؟! سؤال طالما راود جوابه بنعم أحلام الكثير من أمة محمد ﷺ، فالالتزام بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ قولاً وفعلاً أعظم المطالب وأسنى المراتب، ففيه سعادة الدارين: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧)** ﴾ [النحل: ٩٧] والكثير من شباب اليوم يحب أن يُنظر إليه على أنه (ملتزم) معبراً بمظهره الخارجي عن ذلك، فتراه - ولله الحمد - معفي اللحية، مقصراً ثوبه! فأنعم بذلك الامتثال والاقتداء.

والسؤال الذي يطرح نفسه..

ما هو الالتزام، وهل هذا هو نهاية الالتزام؟!

من النماذج القليلة.. بل قل: الحالات الفردية، ما نراه من صور مؤلمة لبعض شباب وفتيات الالتزام.. هاكم نماذج تتمنّى الالتزام لكنها في المؤخرة:

ـ أحدهم لا يصلي الفجر مع جماعة المسلمين إلا أياماً معدودة كل شهر! وآخر لا يدرك تكبيرة الإحرام كل أسبوع إلا مرة أو مرتين! وثالث لا يعرف السنن الرواتب، ولا يصلي الوتر إلا في رمضان!

ـ أحدهم لا يعرف لوالديه وأسرته حقاً، ولا صلة ولا براً! فهو مشغول لا وقت لديه! ثم ترى هذا الوقت يهدر مع الأصدقاء كل يوم في استراحة تقطع الوقت وتقضي عليه. يأخذ الدَّين ويستقرض الأموال، وتمر السنوات وهو لا يفكر في سداد ما عليه من الديون، هَمُّهُ ماذا قال فلان؟ وماذا فعل علان؟! أرسل لسانه غيبة واستهزاء!!

ـ أحدهم لا يهمه أمر المسلمين، ولا تذرف عينه لرؤية اليتامى والمنكوبين! شحيح الدمعة، بخيل الإنفاق، لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، وأمر الدعوة تركه إلى غيره!

ـ فتاة تحب أن يُنظر إليها أنها ملتزمة! وهي تحمل في قلبها وعلى جسدها أنواع المخالفات الشرعية! بليدة الهمة، ميتة القلب، لا تفكر أن تقدم لهذا الدين شيئاً، ولو مثل ما تقدم لأظفارها!

ـ أخرى خراجة ولاجة لا يقر لها قرار في بيتها.. تعرف أسماء المحلات التجارية أكثر مما تعرف سور كتاب الله عز وجل! تلبس ثياباً شفافة، ويرتدي ابنها ملابس تحمل عليها صوراً وكلمات تنافي تعاليم الإسلام.

ـ فتاة مولعة بقراءة الصحف والمجلات والقصص والروايات غثها وسمينها! وليس لديها ميزان عدل.. فها هو كتاب الله عز وجل لا تعرفه إلا في رمضان فحسب!

ـ أخرى حجابها للزينة وليس لاخفاء الزينة كما أمر الله عز وجل! فإذا بك تراها تلهث وراء كل موضة عباءة جديدة لتزيد من جمال مفاتنها ولتبرز انوثتها اكثر! فكم يا ترى من شاب نظر إليها وباءت بإثمه! وكم من فتاة تبعتها فكان عليها وزر السنة السيئة!

إنها صور فردية، لكنها مؤلمة، وأشد ما يؤلم أنها في ازدياد! لقد افترقت الطرق، وتنوعت المشارب، وتكدرت الدلاء.. فهل نحنْ ملتزمون بالأوامر والنواهي! ومَنْ منا يستحق أن يحمل لقب (الملتزم) أو (الملتزمة).؟!

وتبقى كلمة

أسلمتْ في بلدها أمريكا.. على يد بعض زوجات المبتعثين للدراسة، فحسن إسلامها، وتحجبت الحجاب الشرعي الكامل، فلا يُرى منها ظفر، ولا تظهر منها عين، ومرت الأيام وهي ترفل في سعادة بالغة، وساعات إيمانية رائعة، تتنقل بين منازل المسلمات يزورونها وتزورهن، حفظت بعض سور القرآن الكريم، بل وأصبحت داعية لأسرتها وبني جلدتها بحماس وهمة..! ولما قرب موعد الحج إلى بيت الله العتيق، تاقت نفسها لأداء الركن الخامس من أركان الإسلام، وسعى الجميع إلى إعانتها ومساعدتها لمحبة أنزلها الله عز وجل في قلوب المسلمين والمسلمات لها، فقد اضطهدت في دينها وتفرقت أسرتها، والجميع يضرب المثل بحالها قريباً من صحابيات فجر الإسلام وضحاه!

قصة إسلامها وما لاقته تكتب بأنفاس الروح! لكن الأعجب لنا معاشر المسلمين في ديار الإسلام أن كان انطباعها الأول وهي ترى كثرة مَنْ يكشفن عن وجوههن في أرض الإسلام، أن قالت: ما أكثر غير المسلمات في بلادكم. اعتقاداً منها أن المسلمة هي التي مثلها تقوم بارتداء الحجاب الكامل! ومثلما رأت في سنتها الأولى حال المسلمات وحجابهن هناك، لقد استنكرت ما رأت اليوم وتعجبت من الحال الذي تراه!.. فكيف بها لو تخطت قدمها لترى حال المسلمة في الأسواق، وعلى شواطئ البحار .

أليس التبرج أختي المسلمة من الصدِّ عن سبيل الله عز وجل؟!

وإظهار المسلمات بمظهر لا يليق إلا بأهل الجاهلية. وكيف ندعو إلى دين نحن نتفلت منه ومن تعاليمه!

تأملي في واقعك واستهدي بقول من خلقك وأمرك بطاعته: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥٩)** ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وإن كانت اللحية رمزاً ظاهراً لالتزام الرجال، فإن الحجاب الشرعي رمزٌ ظاهرٌ لالتزام النساء، والله أعلم بالسرائر.

الولاء والطاعة

لكل ملة من الملل ونحلة من النحل تميز يميزهم عن غيرهم.. عبادة وتعاملاً ومعابد.. بل وحتى ملابس.. فهي الأخرى من شعارات الأمم الظاهرة، فهذا اللباس هندي، وذاك ياباني، وآخر أوروبي!

والمرأة المسلمة المؤمنة لها تميزها الكامل والواضح في طاعة ربها وأمثال أمره واجتناب نهيه.. وهي تتعبد الله عز وجل في كل لحظة وسكنة، وفي كل أمر عظم أو صغر، لأن التشريع من عند الله عز وجل.. فها هي المؤمنة تتعبد الله عز وجل بالصلاة وتقيمها وتؤديها، ثم هي مرة أخرى تترك الصلاة لعذر شرعي وتتعبد الله عز وجل بهذا الترك.. فما أجمل الامتثال ! وما أنصع التسليم!.

هاهي التوابة الأوابة تلقي جانباً ما استجد من أنواع العباءات وهي تتأمل وتقول: أنا لست ألعوبة بأيدي من يريد إسقاط الحجاب.. أنا امرأة مسلمة أُسلم بأمر الله ورسوله في الستر والعفاف. ولا تقوم قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام. والعباءة ليس ثوباً وكساءً فحسب، بل هي عبادة وطاعة.

وتلك العباءة الساترة المحتشمة أبرز مظاهر المرأة المسلمة التي لا تتحرك ولا تهمس إلا بأمر، ولا تقوم ولا تقعد إلا بأمر مثل شقيقها الرجل.. لذا فهي تسير واثقة الخطا ملقية جانباً ما خالف الشرع، مبتعدة عن المطايا المسمومة التي يريدها الأعداء والمغفلون أن تعتلي ظهرها لتطرحها حيث شاءوا!!

إنها صاحبة موقف وقدوة.. وكلما رابها أمر واستجدت محدثة وألقى الأعداء لها بسهام، تمثلت مواقف المؤمنات الخالدات وعادت سريعاً إلى ربها محافظة على دينها وعفافها وحيائها.. تعلم علم اليقين أن خير أعمالها القرار في بيتها، وزينة عملها وأجله للأمة أن يخرج من تحت يدها الابن الحنون أمثال عمر وخالد وعمار ومعاذ..

ها هي الحبيبة التقية النقية التي تعد لراية الإسلام يداً لا تسقط من المجاهدين والدعاة والمصلحين تتأمل فيما جرى لأم حبيبة رضى الله عنها، (رملة بنت أبي سفيان زعيم مكة وقائدها).. فقد كانت زوجة لابن عمة الرسول صلى الله عليه وسلم (عُبيد الله بن جحش الأسدي). وقد أسلم زوجها عُبيد الله وأسلمت رملة معه، وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة وتركت موطنها وأباها أبا سفيان وتركت الدار والأحباب طلباً لرضا الله عز وجل.. ولكن الحياة لم تصف لهذه المؤمنة الصابرة المهاجرة فقد فُجعت بعد حين بردَّةِ زوجها عُبيد الله عن الإسلام ودخوله النصرانية.. وجاهد أن يردها عن دينها فأبت وثبتت على دينها كالجبال الرواسي، والتزمت الصبر، وتعاهدت الدعاء، وكانت قد وضعت ابنتها حبيبة التي كُنيت بها، فصارت تدعى: (أم حبيبة)، وكانت في نهارها وليلها مهمومة مغمومة مفجوعة في أهلها وزوجها، تتناوبها الوحشة والغربة حيناً، والفجيعة والحزن حيناً آخر.. وكادت أن تهلك غماً وأسى وحسرة، فهي امرأة مسكينة وحولها طفلة صغيرة وزوج تنصَّر وفي مكة أب مشرك يتربص بها وبالمسلمين الدوائر.. ولم يبرد وجع كبدها وأَنَّة قلبها، إلا طارق أتى إلى النجاشي من عند رسول

الله ﷺ يطلب منه أن يزوج أم حبيبة برسول الله ﷺ.. وقرت عين أم حبيبة وتدثرت بشرف عظيم حين تسمت بأم المؤمنين، وأزال الله ما بقلبها من حزن وهم وقلق وغم.

وتتتابع الأيام والشهور فإذا بالفجر الصادق يلوح في أفق المدينة مبشراً بنصر مؤزر وفتح لمكة قريب بعد أن نقض المشركون صلح الحديبية فحاروا في استعداد المسلمين وقدموا وأخروا.. واستشاروا وقرروا أن يبعثوا من يثني رسول الله ﷺ عن فتح مكة ويؤجله ولو إلى حين، فكان رسولهم إلى المدينة أبا سفيان بن حرب والد أم المؤمنين رملة، الذي تسلل تحت جنح الليل حتى استقر به المقام في المدينة وهتف قلبه.. أَنْ سِرْ إلى ابنتك رملة فلن تُخيب ظنك ولن تفشي سرك وستكون يداً لك.. وتنازعته رغبة وحنان الأبوة فأدرك ذلك كله بالخطا السريعة إلى منزل ابنته رملة يريد أن يدخل بيتها، ولم تكن رأته منذ هاجرت إلى الحبشة قبل سنوات طويلة، فوقفت تنظر إليه بادية الدهشة والحيرة وقد عقدت المفاجأة لسانها، وأدرك والدها ما نزل بابنته من هول المفاجأة والمباغتة، فأعفاها من أن تأذن له بالجلوس وتقدّم بعاطفة الأبوة ليجلس على الفراش وهو مطمئن الفؤاد.. ولكن أنطق الله عز وجل لسان رملة رضي الله عنها وحرك يدها فاختطفت الفراش وطوته عن أبيها، فقال لها: يابنية، وما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني؟ قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك، فلم أحب أن تجلس عليه.

لقد محضت أم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان ولاءها لله، فلم تأس

على زوج تنكَّب عن الصراط وارتد عن دينه، وتحملت في غربتها الضيق والمعاناة، ثم هاهي تتغلب على عـاطفة الأبوة وتظهر ولاءها لله ورسوله وللمؤمنين وبراءتها من الكفار المشركين حتى وإن كان أباهَا أو أخاها..

تأملت مـؤمنة هذا الـزمن موقـف أم المؤمنين وتأسـفت على حـال أخواتهـا، وكيف عـصفت بهن الفتن، فـقلَّ الدين، وضعـف الاتباع، وأصبح البعض منهن يتـقلبن في يد كل ساقط، وخلف نداء كل ناعق، ولذا ظهرت أنواع من العبـاءات غير المحتشـمة، وترجلت النساء، وندر الحيـاء. وكثرت الخـراجات الولاجات ممن همـهن الموضة والأزياء، ولو على حساب دينهن!!

يا أمتي

مرت بخاطري هذه الأيام قصصٌ كنا نسمعها منذ الصغر عن مكر ودهاء الثعالب.. ولم يكن أمام ناظري إلا تلك المجلات والصحف السيَّارة التي يراوغ فيها كثير من حملة الأقلام في محاولة للإيقاع بالفريسة، إما عن منهج يحمله ومعتقد يسير عليه، أو عن جهل وغباء ومسايرة للموجة، أما الفريسة التي تتجه لها أنياب النفاق والتغريب والفساد فهو المجتمع المسلم المحافظ، وتمثل المرأة نقطة الاختراق فيه والنفاذ إليه! تذكرت مَن يدَّعون الإصلاح ويدعون إليه فإذا بفرعون دليلهم وهاديهم مبرراً فعله ضد موسى عليه السلام ﴿**إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ** (٢٦)﴾[غافر: ٢٦] وكل دعاة الضلال على خطا فرعون سائرون وعلى أثره مقتفون ﴿**مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ** (٢٩)﴾ [غافر: ٢٩]، وتذكرت نكتة قديمة اتُهِم فيها كاتب بمخالفته تعاليم الإسلام ومجانبته للصواب، وأنه من دعاة الفساد والضلال، فرفع صوته مستنكراً كعادة تلك الثعالب!: أنتم دائماً تتهمون عباد الله وتطعنون فيهم، وتقرؤون ما في قلوبهم.. أنا بعكس تلك الاتهامات فأنا مسلم وفكري إسلامي وأُصلِّي في اليوم ثلاث مرات!

نساء اليوم

نساء اليوم يسابقن الرجل في كل واد.. منهن الخرّاجة الولاجة التي لا يقر لها قرار.. ومنهن التي تلاعب الشيطان بعباءتها فاتخذتها زينة وفتنة، ومنهن من لا ترى أثر تعاليم الإسلام في لباسها ومأكلها ومشربها!

دع عنك نساء اليوم ـ مع أن فيهن خيرات تقر بهن أعين المسلمين ـ ولننطلق نرى واقع نساء السلف وكيف كنّ.

عن أبي أسيد الأنصاري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ وهو خارج من المسجد، فاختلط رجال مع النساء في الطريق، فقال رسول الله ﷺ: «**استأخرن فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق، عليكن بحافات الطريق**» [رواه أبوداود].

فكانت المرأة تلتصق بالجدار، حتى إن ثوبها يتعلق بالجدار من لصوقها به.

أما سودة أم المؤمنين، رضي الله عنه فإنها لما سئلت: لم لا تحجّين ولا تعتمرين كما يفعل أخواتك؟ قالت: قد حججت واعتمرت، وأمرني الله أن أقرَّ في بيتي.

قال الراوي: فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى أُخرجت جنازتها.

قال أبو بكر ابن العربي في كتابه: «أحكام القرآن»: ولقد دخلت نيفا على ألف قرية من برية فما رأيت أصون عيالاً ولا أعف نساء من نساء

نابلس، التي رُمي بها الخليل - عليه الصلاة والسلام - في النار، فإني أقمت فيها شهراً فما رأيت امرأة في طريق نهاراً إلا يوم الجمعة، فإنهن يخرجن إليها حتى يمتلىء منهن، فإذا قضيت الصلاة وانقلبن إلى منازلهن، لم تقع عيني على واحدة منهن إلى الجمعة الأخرى.

واليوم: الحال مبكية والجدار سقط! وإلا منذ متى والمسلمة تعرض مفاتنها للغادي والرائح؟! ومنذ متى والمسلمة تنصب نفسها للأعين الجائعة من الذئاب البشرية؟! وإن سلمت هي لم يسلم الشاب المسكين!

لقد انزوى العفاف، واستحيا الحياء، وعف العفاف، حتى لا يكاد يرى على سواد الأمة إلا من رحم ربي من المؤمنات الصادقات الطائعات لله ولرسوله. فأنعم وأكرم بهن من أمهات وبنات وزوجات!

من رقية إلى خديجة

مضى عهد النوم يا خديجة.. ومضى عهد النوم أيتها الفتاة المسلمة.. استنهاض جميل لعزائم الفتيات وهمم النساء من مربية فاضلة، وداعية موفقة في مقالة ضافية، تشع أنفاس حروفها بالمحبة لهذا الدين، كتبتها داعية معروفة! طوقت أعناق الكثير من الداعيات اليوم بفضلها وحسن دعوتها، مع ما تحمله من ميراث النبوة المؤصل بالكتاب والسنة، وقد خط قلمي وهو يساير قلمها وجميل عبارتها:

يا خديجةُ.. أقبل الفجر وولَّى زمن النوم، لك سنوات تقارب العشرين وأنت تنهلين من معين صافٍ رقراق، ثم إذا بكِ لا تعملين بما علمت طوال السنوات الماضية.

يا خديجة.. دنا الحصاد وقارب الزرع أن يحصد.. لكن الدعوة تحتاج إلى جهاد وأمل وصبر.

يا خديجة رائحة الجنة هَبَّ هبوبها، ولا أراك إلا مسارعة لها مبتغية رضا الله عز وجل..

يا خديجة.. كثر الخبث وظهر الفساد.. والمرجفون أطلوا برؤوسهم، فما دورك أنت حتى تكوني مُصلحة، ولستِ صالحة فحسب؟!.

يا خديجة.. الحجاب يئن من ضربات متتالية، وترينه بدأ يسقط عن وجوه البعض. أما آلمك وأدمى قلبك ذاك السفور والدعوة إليه؟!

يا خديجةُ.. «ما كان الرفق في شيء إلا زانه» والدعوة والرفق

متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، وتأملي سيرة الرسول ﷺ ترين ذلك واضحاً جلياً..

يا خديجة.. سمعت بما أسموها (ماما تريزا) وصويحباتها ومن على شاكلتها يذهبن في حر الصيف وسوء الأحوال الجوية وحيث قطاع الطرق والفقر.. تحثهن الخطا للدعوة إلى النصرانية الباطلة.

يا خديجة.. جعل الله أعظم همٍّ تحملينه في قلبك همَّ الدين ورفعته. وأزال من قلبك هموم الغافلات اللاهيات.

يا خديجة.. أري الله منك خيراً، وابذلي لهذا الدين مثلما تبذلين للدنيا بل الثلث.. والثلث كثير.

يا خديجة.. سترك الله بستر العفاف، وجعل الإيمان شعارك ودثارك، وأحياك حياة طيبة، وجعلك هادية مهدية، وأقر بك أعين الإسلام والمسلمين. ومثلك تنجب الرجال، وتربي الأبطال، وتخرج العلماء والدعاة.

يا خديجة: حفظكِ الله من كيد الأعداء، وأنار بصيرتك بالعلم النافع ورزقكِ العمل والإخلاص.

نداء من الأعماق.. مضى عهد النوم يا خديجة!!

ردود الفعل

من تأمل في الساحة الإسلامية وما يدور فيها يجد أن العمل الإسلامي مع الأسف الشديد ينطلق دون تخطيط أو دراسة. بل هو في الغالب يعتمد على ردود الأفعال. يحركه الحماس وتدفعه العاطفة إلى حين، ثم يخبو وكأن شيئاً من الظواهر المهلكة لم تقم، وتدور الأيام لتنمو تلك الظواهر حقيقة، ثم يُخطط للمزيد منها في غفلة من سواد الليل .

ولهذا نجح المنافقون والمرجفون في الأرض، ومَن ورائهم من العلمانيين والحداثيين، ومَن خلفهم من ملل الكفر في اختراق الصفوف والتنبؤ بما سوف يحدث من أهل الخير والصلاح، وهم يرونها عاصفة سرعان ما تختفي.. لتعاد الكرة مرة أخرى.

ولو أطلت النظر قلَّ أن تجد من يخطط ويرتب لإصلاح بيته وأسرته الصغيرة، وقلَّ أن تجد خططاً واضحة، وأُطراً صائبة لمواجهة الفكر الحداثي والزندقة الظاهرة هذه الأيام مثلاً.

في جانب النساء وهن الثغرة الأولى التي تنصبُّ عليها السهام.. يظهر علينا كل حينٍ سهم مسموم: مرة في حجاب المرأة ومحاولة إسقاطه، وأخرى سهمٍ يتجه نحو جذب المرأة خارج بيتها بالعمل تارة، وبالنشاطات المسرحية أخرى، أما فساد العقول في أمر تعدد الزوجات وتحديد النسل دون ضرورة فقد انتكست فيها المعالم مع الأسف الشديد.. والقائمة طويلة لو تحدثنا عن محاولات الإفساد ومدى نجاحهم

خلال عشرين سنة ماضية مثلاً.

لكن ماذا تم في جانب الإصلاح وتحصين المرأة المسلمة من تلك المزالق التي لا نرى إلا حماساً لأيام معدودة، واحمراراً في أنوف البعض لسماع الخبر، وفقاعات من الغضب تنتهي قبيل المساء. وأما من أسهم بالجهد فهم القلة.

هب أننا نسعى من اليوم لتحصين نسائنا عن نزع الحجاب وزرع مهابة الله عز وجل ومحبته في قلوبهن، وإشعارهن أن الحجاب ستر للمؤمنة فتتعبد الله عز وجل بإقامته على الوجه الصحيح.. وكان لنا هذا ورسخ الأمر في قلوب الصغيرات، فهل يا ترى تنال منهن السهام مع كل موجة عباءة أو صرخة تقليد.؟! وقس على ذلك القائمة الطويلة من سعي أهل الفساد في كل وادٍ وتحت كل طريق.

أين المصلحون والمصلحات؟

تعجبت أم المؤمنين زينب - رضي الله عنها - وسألت النبي ﷺ: (أنهلك وفينا الصالحون؟) فأجابها عليه الصلاة والسلام: «نعم إذا كثر الخبث» [رواه البخاري]. ونحن اليوم نتساءل أنهلك وفينا من يصوم الاثنين والخميس، وفينا من يحفظ القرآن ويردده طوال اليوم؟ أنهلك وفينا من يتصدق وينفق؟ والإجابة من سيد البشر: «نعم إذا كثر الخبث»، والخبث لا يكثر إلا بترك التناصح والدعوة إلى الله وهجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال عز وجل: ﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ** (١١٧) ﴾ [هود: ١١٧] ولأهمية الأمر بالمعروف وعظم أمره قَدَّمه الله عز وجل على الإيمان في قوله تعالى: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ [آل عمران: ١١٠]وقدمه الله عز وجل في سورة التوبة على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فقال تعالى: ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** (٧١) ﴾[التوبة: ٧١].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعمال ومهام الرسل، ومن صفات المؤمنين، ومن خصال الصالحين، والقيام به من خيرية هذه الأمة. وهو من أسباب النصر والتمكين، ومن أعظم أسباب تكفير

الذنوب. ويترتب على ترك هذا الركن العظيم - الذي عدَّه بعض العلماء الركن السادس من أركان الإسلام - عدم إجابة الدعاء، وانتفاء خيرية الأمة، وتسلط الفساق والفجار والكفار، وشيوع المنكر، واندثار السنن، وظهور الجهل، وتخبط الأمة في ظلمة حالكة لا فجر لها.

قال العلامة حمد بن عتيق ـ رحمه الله ـ: ((فلو قدر أن رجلا يصوم النهار ويقوم الليل ويزهد في الدنيا كلها، وهو مع هذا لا يغضب لله، ولا يتمعر وجهه، ولا يحمر، فلا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر، فهذا الرجل من أبغض الناس عند الله، وأقلهم ديناً، وأصحاب الكبائر أحسن عند الله منه)).